بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى الصفحات التالية نحاول إلقاء الضوء على بعض المفاهيم الهامة التى لها آثارها البعيدة فى فكرنا المعاصر، فلا يخفى على أحد ما للفهم الصحيح للدين من تأثير إيجابى عميق على تفكير المتدينين وسلوكهم، كما لا يخفى على أحد أيضًا ما للفهم الخاطئ للدين من آثار خطيرة تتمثل فى الانحرافات الفكرية وموجات التطرف والتعصب والإرهاب. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للدين فإن الأمر لا يقل أهمية وخطورة بالنسبة للفلسفة التى تعتمد العقل الإنسانى أساسًا راسخًا للدر الذى تضطلع به فى حياة الأفراد والجماعات على السواء.

فإذا أتيحت الفرصة للعقل الإنسانى ليقوم بالدور المنوط به كان فى ذلك حماية للفكر من الوقوع فى مهاوى الضلال العقلى أو الانحراف الفكرى، أما إذا غاب العقل أو عطل عن أداء دوره فإن ذلك يعنى حرمان الحياة من نور العقل فتنعدم الرؤية السليمة ويختفى الوضوح ويعم الظلام.

وهنا أيضًا تنشأ موجات التطرف والتعصب فيغيب الوعى ويتسلط الجهل.

وهذا كله يدعونا إلى أن نبحث عن الطريق السوى للخروج من متاهات الضلال العقلى من ناحية أخرى، وذلك يتم عن طريق تحديد المفاهيم وتوضيح الأفكار وبيان وجه الحق فيها حتى تتضح الحقيقة أمام الناس، وبخاصة أمام الشباب الذين هم عدة الوطن وأمله المرتقب فى مستقبل الأيام، ومن هنا تأتى ضرورة التنوير الذى نحن اليوم فى أشد الحاجة إليه للخروج من أزمتنا الفكرية الخانقة والانطلاق نحو آفاق التقدم والازدهار.

ونظرًا لأنه يكاد يكون هناك إجماع فى الشرق وفى العرب على أن الفيلسوف المسلم ابن رشد يعد واحدا من عظماء التنوير فى العالم، فقد كان لزامًا علينا أن نوضح مفهوم التنوير فى فكره، وإذا كان ابن رشد –بعد مرور ثمانية قرون على وفاته– لا يزال يحظى بهذه المكانة حتى يومنا هذا فإن ذلك لا يعنى أن الساحة الفكرية قد خلت من بعده من قادة التنوير والإصلاح على المستويين الدينى والفكرى.

ومن هنا لم يكن يجوز لنا فى هذا الصدد أن نتجاهل رائد الإصلاح والتنوير فى العصر الحديث وهو الشيخ محمد عبده الذى كان لفكره الدينى والفلسفى تأثير واضح فى مصر بصفة خاصة وفى العالم الإسلامى بصفة عامة، وقد ركزنا هنا على وجه الخصوص على إبراز مكانة العقل فى فكره.

وفى ختام هذه المقدمة نود أن نشير إلى أن الفصول الأربعة التى يشتمل عليها هذا الكتاب قد كتبت فى الأصل فى مناسبات مختلفة وفى فترات متباعدة، ولم يكن الهدف عند كتابتها أن تجمع فى كتاب. ولكن القارئ سيدرك بفطنته أن خيطا واحدا يربط فيما بينها، وهدفًا مشتركًا يجعل منها فى النهاية وحدة واحدة.

ونرجو أن يكون فى نشر هذه الفصول فائدة تعود على القراء فى مسيرتهم الدينية والفكرية.

والله من وراء القصد.

د. محمود حمدى زقزوق